مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء ١٠ تشرين أول سنة ١٩٢٢ م الموافق صفـــر سنة ١٣٤١ هـ المجلد ٢

تفسير الالفاظ العباسية

في نشوار المحاضرة

نشوار المحاضرة من خير كتب المحاضرات وأمتعها ، كنا نسمع به فنشتاقه ونرى نقولاً عنه فنزيد اليه شوقاً حتى أتيح له العالم العامل الاستاذ مرجليوث صاحب الايادي الكثيرة على العربية فاتحف قراءها بجزئه الاول مطبوعاً طبعاً متقناً وهو كل ماوجده من الكتاب في خزانة باريس .

وقد طالعت هذا الجزء اخيراً فعثرت فيه على طائفة من الالفاظ العباسية الكثيرة الورود في أخبار ذلك العهد وغالبها مما لم تتعرض المعاجم التي بايدينا إلى ذكره او لم تفسره تفسيراً شافياً يميط اللثام عن معناه ويكشف عن الغرض منه . وانما قلنا العباسية من باب التغليب لان جلها من الالفاظ الحادثة في العصر العباسي الاول إما بالتوليد والتعريب او بالاستعمال في غير ماوضعت له بضروب من التجوز والتوسع .

ولم يكن اقدامي على تفسيرها الا باشارة صديق لاتسعني مخالفته وكان الاولى بي الاحجام لاني اقدمت في وقت انا فيه جم المشاغل والبلابل بعيد عن قماطري وكتبي فجاء العمل على ما تيسر لا على ما ينبغي ان يكون. على اني بعد ولوج الباب صادفت من الصعوبة مالم أكن اتصوره لاسباب أهمها قلة المواد المعينة على امثال هذه المباحث ومنها عدم الوثوق بكل ما جاء بالنسخة والامان فيه من مسخ الناسخ فكنت اذا توقفت

في لفظ استنفد مني وقتاً كبيراً في البحث عنـــه بعد تقليبه على ماتحتمله صورته من وجوه التصحيف والتحريف وفي هذا من العناء مالايعرفه الامعانيه . فعسى بعد هذا الجهد الجهيد ان لايصادف عملي اهمالاً من حملة الاقلام وجهابذة اللغة فاني ماكتبت الذي كتبت الا اعتماداً على انه معروض لديهم على المحك ومتناول منهم بالنقد حتى يتميز الصحيح من الزيف .

وقد اكتفيت في هذه الالفاظ ببيان أصولها وتوضيح معانيها غير متعرض لحكم استعمالها عند أئمة اللغة ولا ملتزم ذكر مايقابلها من الفصيح تجنباً لايقاظ فتنة نائمة واثارة جدال عقيم جربناه مراراً فلم نفترق فيه على وجه جميل . فاذا ندّ القلم في بعضها عن هذا الشرط فليحمل ذلك على قصد الزيادة في البيان والايضاح او مجرد المقارنة بين لغة قوم ولغة آخرين لا افتياتاً على السادة المستعجمين والله الهادي الى سواء السبيل .

(التنّاء والأكرة)

ذكر في « ص ٤ » في اصناف الناس الذين أورد اخبـــارهم في الكتاب « التنـاء والمزارعين . وارباب الخراج والارضـــين . والاكرة والفلاحين » . التناء والاكرة لفظان كادا يكونان خاصين بالعصر العباسي الاول ولو تتبعتها لوجدتها كثيري الورود في اخباره ثم يأخذان في القلة بعد ذلك الى ان لاترى لهما اثراً من الذكر . اما التناء بضم الاول وتشديد النون فجمع تانىء وقد ورد في قوله (ص ٨٨) وكان ابوه شاهداً جليلاً تانئاً[1] موسراً » . وورد التناء في احسن التقاسيم للمقدسي في وصفه لشيراز وأهلها (ص ٤٣٠) بما نصه :

« لهم خصائص وصنائع وعقل ودهاء ومعروف وصدقات وبهاء ومشايخ ووجوه وتناء » . وفي تاريخ الوزراء للصابىء « ص ٢١٠ أنفذ في درجه كتاباً في جلد يضمن فيه المال والدم وقد اشهد فيه جماعة الشهود والوجوه والتنـاء في البلد » . ومعنى التانىء الدهقان اي رئيس القرية وحاكمها والظاهر انهم اطلقوه ايضاً على العين من

(١) لعله « وتانئاً » بواو العطف .

اعيان الزراع وان لم يكن متوليا شؤون قريته كما يطلق المصريون الآن (العمدة) على دهقان القرية وعلى الوجيه السري من أعيان الريف .

اما الاكرة بفتحتين فجمع اكّار بالفتح وتشديد الكاف وهو الزرّاع ويقال له الخبير ايضاً واصله من الاكر بمعنى الحفر ثم خص العرف المؤاكرة والمخابرة بالزارعة على نصيب معلوم مما يزرع بالارض كالثلث او الربع او غيرهما . والعامة في مصر تستعمل في هذا المعنى « المرابعة » وهي في الاصل المزارعة على الربع ثم جعلت للمزارعة على أي نصيب يتفق عليه ويقال لمن يباشرها المرابع .

(اصحاب الستائر والمقيّسون)

وذكر في (ص ٥) . « الرقاصين والمخنثين . واصحاب الستائر والمقيسين . والمتقاينين والمستمعين . واهل الهزل والمتخالعين » اما الستائر فالمراد بها هنا مجالس الغناء التي للقينات لأنهم كانوا يضربون ستارة تحول بينهن وبين المستمعين ويغنين من ورائها فالمراد من وراء الستائر لا الستائر واستعمال مثله جائز ومنه يفهم معنى قولهم عند فلان ستارة واتخذ فلان ستارة ولابن قلاقس في تشبيه الطيور في اوراق الأشجار بقيان خلف ستائر

والورق في الاوراق قد هتفت على ... عذبِ الغصون بأعذب الالحان
فكأن اوراق الغصون ستائر ... وكأن اصوات الطيور اغانِ

وكان الخلفاء إذا أرادوا سماع الغناء سمعوه من وراء ستار يحجبهم عن الندماء والمغنين.

أما المقيّسون فلم أجد في مادة هذا اللفظ ما يتلاءم مع المعنى هنا ولا إخاله إلا محرفاً عن « المقينين » بمعنى المتخذين قياناً لسماعهن أو للكسب من غنائهن فيكون ذكره لهم بعد أصحاب الستائر من عطف المرادف . وأصل التقيين التزيين يقال قينت فلانة صاحبتها أي زينتها فاستعماله في اتخاذ القيان من المولد . ومما يرجح ذلك ذكره بعدهم (المتقاينين) وسنبين انهم المستهترون بمصاحبة القيان والانفاق عليهن وهو أيضاً استعمال مولد. وقد يظن ان التحريف عن (المقلسين) بمعنى المضحكين ولكن يمنع منه ذكره لهم مع أصحاب الستائر بعد الرقاصين والمخنثين وقبل المتقاينين والمستمعين ولو كان

ارادهم لاخترم لأهل الهزل والمتخالعين فالسياق يقتضي ماذكرنا فضلاً عن أنه أقرب إلى صورة اللفظ .

(المتقاينون)

وذكر في « ص ٥ » أيضاً : « المتقاينين والمستمعين » على ماتقدم . وقد ذكرنا ان المراد بهم المستهترون بصاحبة القيان وانفاق المال عليهن وهو اشتقاق مولد مأخوذ من القينة أي المغنية والظاهر أنهم توسعوا في التقاين بعد ذلك فجعلوه لمطلق الاسراف على اللهو لأن الغالب فيه أن يكون على القيان وأمثالهن وقد تكرر ذكره في الكتاب . ففي (ص ٨٨) « وكان هذا الفتى ابن جانخش قد ورث مالاً جليلاً ودخل الديلم الأهواز عقيب ذلك فتقاين بالمال وعاشر الديلم فانفق اكثره عليهم » . وفي (ص ٨٩) « ومن طيب اخبار متخلفي المورثين مااخبرت به من ان أحدهم ورث مالاً جسيماً فتقاين وعمل كل مايشتهي » . وفي (ص ٩٤) « وقد جرى ذكر رجل عندنا بالبصرة ورث مقدار مائة الف دينار فتقاين بها في سنين قريبة وعاد فقيراً » . وفي (ص ٩٨) « ورث في حداثته مالاً جليلاً فتقاين بجميعه » .

(القماحيون)

وذكر أيضاً في (ص ٥) : « الآسية والمجبرين . ومعالجي الجراح والقماحين » هكذا بالنسخة والصواب « القماحيين » نسبة الى القمائح جمع قميحة وهي في الأصل لما يستف يقال قمحة واقتمحه بمعنى استفه ثم أطلقت في لغة الطب على نوع من السفوفات فقول القاموس القميحة الجوارش كأنه نظر فيه إلى معناه اللغوي وهو الدواء الهاضم لأن الجوارش معدود عند الأطباء في المعاجين لا السفوفات وسيأتي الكلام عليه . فالقماحيون صانعو القمائح أو المعالجون بها وقد شاعت عند المولدين النسبة إلى الجمع في أمثال هذه الصناعات كالجرائحي والحشائشي والطبائعي .

(المقالون)

وذكر أيضاً في (ص ٥) : « أصحاب الزجر والزراقين . وأهل القرعة والمقالين والطواف بالسهام والمفسرين » . أما أهل القرعة فالذين يمخرقون بالقرعة المنسوبة

للامام جعفر الصادق وغيرها ومثلهم الطوّاف بالسهام لأن عملهم ضرب من القرعة وأصل السُهمة كالقرعة وزناً ومعنًى والمفسرون والمعبرون . وبقي المقالون ولا يصح اشتقاقهم من القول ولا من المقل بمعنًى يناسب ماهنا، وعندي ان اشتقاقهم من الفأل بالفاءِ غير أن غالب هذه الالفاظ لما كانت مولدة لا نستطيع الجزم بما صاغوه من هذه المادة للدلالة على المشتغلين بالفأل وأقرب الصيغ إلىصورة اللفظ أن يكونوا « الفئآلين » بوزن فعال بتشديد الثاني أي باحدى صيغ النسبة لذوي الصناعات وتكون الميم زيادة من قلم الناسخ .

وهذه الطوائف ترجع جميعها إلى طائفة واحدة سماها الجوبري في المختار في كشف الأسرار بأصحاب السير وبالمنجمين وبالغرباء وذكر منهم أصحاب الموائد وأصحاب الفأل وأصحاب الحديدة وأصحاب القرعة وأصحاب التكلم على الرمل وغيرهم وشرح أعمال كل صنف منهم بما يبينها .

(الزرّاق)

وذكر في (ص ٥) : « أصحاب الزجر والزرّاقين » على ماتقدم وجاءَ في (ص٢٦٦ — ٢٦٧) « قال لي أبو معشر المنجم وقد جرى حديث الزرّاقين »وتكرر ذكر الزرّاق بالقصة بما يعلم منه أنه المنجم . وجاء في حكاية أبي القاسم البغدادي لأبي المطهر الازدي طبع هيدلبرج (ص ٤) « ودرس علم الزراقين والمشعبذين » . وقد فسره الخفاجي في شفاء الغليل فقال « أكذب من زراق وهو الذي يقعد على الطريق فيحتال وينظر بزعمه في النجوم، وزرقت عليه أي موهت عليه قاله أبو بكر الخوارزمي في أمثاله ولم يذكر كونه مولداً لكنه مذكور في اللغة الساسانية وهو يدل على انه مولد » ونقل المحبي هذه العبارة بنصها في « ما يعول عليه » في كلامه على « كذب الزرّاق » وفي «قصد السبيل» ولم يعزها فيهما للخفاجي . وقد أعاد الخفاجي ذكر الزرّاق في كلامه على ساسان واللغة الساسانية فقال : « ومنها الزرق وهو تعاطي التنجيم وصاحبه زرّاق والزرق الرياضة » انتهى . قلنا فهو كالذي يعرف عند عامة مصر « بالرمّال » لأنه ينجم بالخط على الرمل

ويقعد على الطريق ومثله عندهم « الضمار » وهو من يعاني هذه الصناعة بطرق الودع لأنه يكشف عما في الضمائر بزعمه .

أما اللغة الساسانية فألفاظ مولدة اخترعها بنوساسان وهم قوم من العيارين والشطار ونظم فيها أبو دلف قصيدة طويلة مذكورة في اليتيمة وكان الصاحب ابن عباد يتحاور معه بها ويقع من لغاتهم كثير في اشعار المولدين فلا يعرفها الناس كذا في شفاء الغليل . قلنا ويقل لها ايضاً لغة المكدين ولغة الغرباء لطواف اصحابها على البلاد للكدية . اما نسبتهم لساسان فلم أجد من تعرض لها من اللغويين سوى أن شارح القاموس قال في المستدرك على « سوس » : وقال ابن شميل يقال للسؤّال هؤلاء بنو ساسان » . وزعم المطرزي في شرحه على المقامات الحريرية المسمى بالايضاح في شرح المقامة الثانية أن ساسان رأس الشحاذين وكبيرهم هو ساسان بن بهمن أحد ملوك الفرس المعروف بساسان الاكبر ، عهد أبوه بالملك لأخته فأنف من ذلك وانطلق فاشترى غنماً وأقام يرعاها بالجبال ويعاشر الرعيان فعيّر بذلك ثم نسب اليه كل من تكدّى أو باشر أمراً حقيراً من العمي والعور والمشموذين والكلابين والقرادين وأمثالهم . اما القصيدةالتي اشار إليها الخفاجي فهي في اليتيمة « ج ٣ ص ١٧٦ – ١٩٤ » وأولها :

جفونٌ دمعها يجري لطول الصد والهجر

ولم يذكرها الثعالبي كلها بل اقتصر على منتخبها وهو كثير . ورأيت في ديوان صفي الدين الحليّ « ص ٤٤٤ – ٤٤٨ » قصيدة له نونية ضمنها الفاظاً من لسان الغرباء ولكنها غير مفسرة وعندي نسخة مخطوطة من هذه القصيدة فسّرت الفاظها بينالسطور إلا انها كثيرة التحريف . وفي المختار السائغ من ديوان ابن الصائغ[1] ثلاث قصائد من هذه اللغة وذكر معها للمناسبة ابياتاً للصاحب ابن عباد ضمنها الفاظاً منها ويقول ناظم الديوان ان اكثر الفاظ هذه اللغة من السريانية . وفي الكلام على « إربل » من معجم البلدان لياقوت قصيدةفيها الفاظ غريبة سماها بالفاظالبغداديينوالاكراد وهيمن نظم نوشروان البغدادي المعروف بشيطان العراق واولها :

(١) هو محمد بن المحلي بن الصائغ الطبيب من فضلاء القرن السادس .

تبــا لشيطاني وما سوّلا   لانــه انزلني اربلا

وقد سرت عدوى التظرف باستعمال هذه الالفاظ إلى ادباء المغرب فنظم اديب الاندلس الفقيه عمر صاحب الأزجال قصيدته النونية التي اولها :

تعال نجدّدها طريقة ساسان   نقـّص عليها مايوالي[1] الجديدان

وقد وطأ لها بنثر مثلها وجعل الجميع مقامة ساسانية سماها تسريح النصال الى مقاتل الفصال وأوردها صاحب نفح الطيب في « ج ٣ ص ٢١ – ٢٤ من طبعة بولاق ».

وانما نبهت لذلك رجاء أن يعنى احد اللغويين بجمع هذه الالفاظ في معجم بعد تصحيحها وتفسيرها لاشتداد الحاجة الى مثله في فهم مايرد منها في اشعار المولدين وتآليفهم وكأن هذه اللغة في العربية تشبه لغة الارغو (Argot) في الفرنسية وهي عندهم لغة خاصة بالاوباش واللصوص والمكدين وامثالهم .

(الانبجات)

وفي (ص ٥) : « الادوية والملاجات . والرقى والانبجات » . الانبجات بفتح فسكون فكسر المربيات الطبية عند الاطباء وهو من غريب توسعاتهم لانها في الاصل جمع الانبج وهو ثمر كانوا يرببونه بالعسل فاطلقها الاطباء على سائر المربيات التي تدخلها الادوية . وفي القاموس « الانبج كاحمد وتكسر باؤه ثمر شجرة هندية معرب أنب » وقال غيره معرب « أنبه » فأبدلوا الهاء الاخيرة جيماً على ماهو معروف . قلنا وهو المعروف الآن عند عامة المصريين بالمنجة أخذوه من الافرنجية منجو (Mango) أو منج (Mangue) وهو دخيل فيها من لغة الملايو [2] وسماه بعض المؤلفين في الزراعة من المصريين « بالانبي » وكان الأولى ان يقول الانبج على ماعربوه به قديماً . وورد بلفظ (الانب) في (ج ١ ص ١٥٨) من نزهة الجليس الموسوي وأنشد فيه لاحمد ابن علان :

اطائف الهنـد ثلاث أتت   الأنب والنرجس والبان

(١) في الاصل « توالي » .

(٢) لفظه في هذه اللغة (منك) ولكن بثلاث نقط على النين وثلاث على الكاف

قال « والأنب أحسن فواكه الهند وأطيبها وعندي انه احسن الفواكه على الاطلاق وهو اصناف » .

ومنهم من عرب « الانبه » بالعنبة اي بابدال الهمزة عيناً كما عربوا الانزروت بالعنزروت والهمزة والعين تتعقبان في بعض الالفاظ كقولهم أربون وعربون وأباب وعباب واباديد وعباديد واشكال وعشكال واستأديت واستعديت ، وفي ازاهير الرياض المريعة للبيهقي ان عنفوان الشباب اصله انفوان فابدلت الهمزة عيناً في قول الا ان هذا التعاقب سماعي لايطرد في كل الالفاظ . ومن هذا الابدال عنعنة تميم وهي معروفة لاحاجة لذكرها . وممن استعمل العنبة بالعين ابن بطوطة في رحلته فقال في كلامه عن اشجار الهند (ج ٢ ص ١٠ من طبعة مصر) « فمنها العنبة (بفتح العين وسكون النون وفتح الباء الموحدة) وهي شجرة تشبه اشجار النارنج [1] الا انها اعظم اجراماً واكثر اوراقاً وظلها اكثر الظلال الا انه ثقيل فمن نام تحته وعك وثمرها على قدر الاجاص الكبير » الى ان قال « فاذا نضجت العنبة في اوان الخريف اصفرت حباتها فاكلوها كالتفاح فبعضهم يقطعها بالسكين وبعضهم يمصها مصاً وهي حلوة يمازج حلاوتها يسير حموضة ولها نواة كبيرة يزرعونها فتنبت منها الاشجار » انتهى . وتكرر ذكره لها بعد ذلك الا انها رسمت بالالف في آخرها ووردت بهذا الرسم ايضاً في نخبة الدهر لشيخ الربوة (ص ١٥٩)وفي ترجمة الدماميني من الضوء اللامع للسخاوي فقال انه مات بالهند مسموماً في عنبا ، وذكرها ابن البيطار في مفرداته بلفظ الانبج والعنبا اي في موضعين . وانفرد القلقشندي في صبح الاعشى (ج ٥ اول ص ٨٣) بعدها فقال العنباء من فواكه الهند ، ووردت في سلسلة التواريخ (ص ٢٤) بلفظ العنب ومثله في سلوة الغريب لابن معصوم الا انه قال شجر الانبا أو العنب . والاصوب ان نقول الانبج على ماعربه به السلف . « لها بقية »

احمد تيمور

(١) لو قال كشجر الجوز كما قال صاحب اللسان نقلاً عن ابي حنيفة الدينوري لكان اشبه .